دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، خریف ۱۳۹۶، العدد الخامس والثلاثون: صص ۹- ۲۶

الإفتنان والإفادة فی رسائل ابن خلدون وابن الخطیب

فاطمه علی‌نژاد چمازکتی *
سعیده میرحق‌جو لنگرودی **

تاریخ الوصول: ۹۶/۲/۱۵
تاریخ القبول: ۹۶/۷/۱۰

الملخص

عبدالرحمن ابن خلدون عالم اسلامی ومؤرخ اجتماعی، مفکر عالمی ذاعت شهرته واستفاض صیته لنظریة جلیلة استحدثها وأطلق علیها "علم العمران البشری" ولقد اهتم الدارسون فی أنحاء العالم بدراسة نظریته وآثاره المؤلفة نظرا إلی مکانة الاندلس فی العالم الاسلامی وإلی أهمیة دراسة التطورات الاجتماعیة والسیاسیة والحضاریة فیها. *الدکتور طه حسین* یری بأن التطورات الاجتماعیة والسیاسیة أثر من آثار التطور الفکری والأدبی فدراسة الأدب خاصة أدب العالمین الکبیرین یعطینا صورة حیة عن واقع المجتمع وتطوراته. علی هذا قامت هذه الورقة بدراسة وتحلیل رسائل أرسلها کل من *ابن خلدون* والوزیر الأدیب *ابن الخطیب* بعضهم لبعض رغبة للتعریف والتعرّف علی حیاتهما المتقلّبة وآرائهما. إنّهما قد عالجا الأحداث التاریخیة فی ثوب أدبی له تعابیر أدبیة مؤثرة. أضف إلی ذلک أنّ هذه الرسائل تدلّ علی افتنان ادبی من قبلهما کما تفید إفادات سیاسیة، وتاریخیة، وعلمیة، وأدبیة.

الکلمات الدلیلیة: ابن خلدون، ابن الخطیب، رسائل، الافادة.

* عضو هیئة التدریس فی المرکز الاقلیمی المعلوماتی للعلوم والتکنولوجیا(مربی). alinezhad@isc.gov.ir
** عضو هیئة التدریس فی المرکز الاقلیمی المعلوماتی للعلوم والتکنولوجیا(مربی). mirhaghjoo@isc.gov.ir
الکاتبة المسؤولة: فاطمه علی¬نژاد چمازکتی

المقدمة

الافتنان هو الإتيان بفنين مختلفين من فنون الكلام فی بیت واحد فأكثر، مثل النسیب والحماسة، والمدح والهجو، والتهنئة و التعزیة، ولا یختص بالنظم، بل یكون فی النثر أیضا كقوله تعالی: ﴿كل من علیها فان ۞ ویبقی وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾(الرحمن/ ٢٦-٢٧). فإنه جمع بین الفخر والتعزیة، فعزی سبحانه جمیع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحیاة، وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات فی عشر لفظات، مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء، بالجلال والإكرام(ابن معصوم المدنی، ١٩٦٨، ج١: ٣٢٠). جاء *ابن خلدون* فی رسائله كثیر من هذا الفن وأما الرسالة من أهم الصناعات الإنشائیة وهو المرتبطة بالحضارة الاسلامیة وتظهر فی تجلیات مختلفة وأبرزها الرسائل الخوانیة. وهی المسجات التی یبعثها الناس لإخوانهم وأصدقائهم وتقوم بالتعبیر عن عواطف الوداد وأحلی الكلمات التی یتبادلها الأصدقاء بینهم *وابن خلدون* اهتم اهتماما واسعا بهذا الفن وعلی هذا تناول هذا المقال الكشف عن أهم القیم الدلالیة التی تزخر بها الرسائل الإخوانیة *ابن خلدون* إلی صدیقه *ابن الخطیب*.

ابوزید عبدالرحمن بن ابوعبدالله محمد بن محمد بن ابوبكر محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهیم بن عبدالرحمن بن خلدون الملقّب *بولیّ الدین* عالم، سیاسی، مفكر، مؤرخ وقاض، ولد فی تونس اول رمضان المبارک سنة ٧٣٢ق أی ٢٧ مایو ١٣٣٢م وتوفّی فی ٢٦ رمضان ٨٠٨ق الموافق ١٧ مارس ١۴٠۶م فی القاهرة(موسوی بجنوردی، ١٣٧٠، ج٣: ۴۴۴). انّه قد تلقی علی أبیه وعلی بعض علماء تونس والواردین إلیها القرآن حفظاً وتفسیراً ثمّ الحدیث والفقه واللغة والنحو وكثیراً من الشعر. قد مات أبوه وأمه حین كان ابن السابع عشر اثر شیوع المرض فی البلاد فأصبح *عبدالرحمن* فی عنفوان الشباب وحیداً منفرداً لا یشدّ حبال الحنین إلی الوطن باعث نفسی قوی فنراه یتقلّب فی البلاد والأقطار دائماً منها: قفصة، بسكرة، فاس، مصر، سوریة، وتلمسان(فروخ، ١٩٩٧م: ۵٨٧،۶).

إنّ حیاة *ابن خلدون* تنقسم إلی أربعة أطوار وهی:

١.طور النشأة والبلوغ الذی ینتهی إلی العشرین من عمره وقد أقضاه فی الدراسة والتعلم.

۲.طور النشأة الإجتماعی- السیاسی وهو طور جمع بین دراسة العلم والأدب. استمر هذا الطور لمدة عشرین سنة، جرّب خلاله الصدارة والریاسة إلی الحبس.

ابن خلدون کان کثیر التقلّب فی الأحوال کما کان کثیر التنقّل فی البلاد فکان له منصب الکتابة إذ کان مسؤولاً عن کتابة التحمیدیة بالقلم الغلیظ بین البسملة وما بعدها من مخاطبات أو مراسیم(ابن خلدون، ۱۹۵۱: ۵۵) ومنصب الوزارة للحفصیین والمرینیین(موسوی بجنوردی، ۱۳۷۰، ج۳:۴۴۵) ومنصب الحجاب فی فاس(عبد الجیل، ۱۳۷۶: ۲۶۲) ومنصب القضاء بمصر(کحالة، ۱۹۹۳، ج۳:۱۱۹). کما سجن سنتین فی فاس واعتزل عن المجتمع واستقرّ فی قلعة ابن سلامة(ابن خلدون، ۱۳۵۹: ۴۰).

۳.طور الإبتعاد والعزلة الذی أقضاه فی التألیف والکتابة واستمرّ أربع سنوات من ۱۳۷۴م إلی ۱۳۷۸م.

۴.طور الإعادة فی المؤلفات والامتهان بالقضاء واستمر لمدة ۱۸ سنة من ۱۳۷۸م إلی ۱۴۰۶م(المصدر نفسه: ۷۰-۶۹).

خلفیة البحث

إن الدراسات السابقة، فلم تجد دراسة مستقلة تتناول هذا الموضوع، واما هناک بعض الدرسات حول *ابن خلدون وابن الخطیب* نحو دراسة *السید صالح سلیمان عبدالعظیم* بعنوان «ابن خلدون فی الخطابات العربیة المعاصرة دراسة تصنیفیة وتحلیلیة» فی مجلة العلوم الاجتماعیة بجامعة الکویت، ودراسة «ثقافة القرن الثامن الهجری بین منهجی ابن خلدون وابن الخطیب» *لمحمد بن علی الکتانی* فی مجلة دعوة الحق، ودراسة *السید روح الله صیادی* بعنوان «دراسة المهارات اللغویة لدی ابن خلدون» فی مجلة الأبحاث المتعلقة باللغة، وأیضا دراسة *السیدة فتیحة حداد* بعنوان «ابن خلدون وآراؤه اللغویة والتعلیمیة(دراسة تحلیلیة نقدیة)» فی مخبر الممارسات اللغویة فی الجزائر.

حیاة ابن خلدون العصریة

أطلّ القرن الثامن الهجری(الرابع عشر للمیلاد) أی عصر *ابن خلدون*، والبلاد العربیة فی انهیار سیاسی وثقافی من جرّاء ما توالی علیها من محن، وما تعاقب علیها من ویلات.

فقد استولى الإسبان على معظم بلاد الأندلس، وغادرها عدد كبير من العرب ملتجئين إلى تونس ومراكش. كانت الأندلس العربية لذلک العهد مختصرة فی مملكة غرناطة تحكمها سلالة بنی نصر، وقد دام حكمها من سنة ١٢٣١م إلى سنة ١٤٩١م(٦٢٩-٨٩٧ق).

وأما المغرب فقد كان على ما رأينا من التفكک والإضطراب، وكان حافلاً بالثورات والفتن، تتعاقب فيه الدول تعاقباً سريعاً. وأما مصر فكانت تحت حكم المماليک، وكانت الحال فيها غير ما من المغرب والأندلس، أی انّها كانت أشدّ استقراراً وكانت بعيدة عن هذا التناحر الذی وجدناه فيها بين الأسر المختلفة وبين السلاطين والوزراء والخارجين على السلطة(الفاخوری، ١٩٩٦: ٣٢٣-٣٢٠).

ابن خلدون العالم الناقد الأديب وضع أساس علم الاجتماع ودوّن فلسفة التاريخ حيث تفرّد بهما وبما استنبطه من مبادی العدل الاجتماعی والاقتصادی والسياسی وما مقدمته إلا خزانة علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية(فرزاد،١٣٧٩: ٩٦). ذاعت شهرته واستفاض صيته لارتباط اسمه بنظرية جليلة استحدثها وأطلق عليها "علم العمران البشری" أو الاجتماع الانسانی(الشعكة، ١٩٨٧: ٢٢٩).

ابن خلدون كاتباً

إمتاز *ابن خلدون* بسعة إطلاعه على ما كتبه القدامی على أحوال البشر وقدرته على إستعراض الآراء و نقدها، دقة الملاحظة مع حرية فی التفكير وإنصاف أصحاب الآراء المخالفة لرأيه. وقدكان لخبرته فی الحياة السياسية والإدارية وفی القضاء، إلى جانب أسفاره الكثيرة فی شمالی إفريقية إلى مصر والحجاز والشام، أثر بالغ فی موضوعية وعلمية كتاباته عن التاريخ وملاحظاته. ولهذا قد تجمعت عند *ابن خلدون* ثروة طائلة من العلوم ولمعرفة بنواحيها المختلفة وذلک بسبب خبراته الواسعة فی ميادين السياسية، لخدمته فی معية الملوک والأمراء، لكثرة أسفاره وتنقلاته بين الدول المغربية والأندلس ولقراءته ودراسته فی كل فرصة تسمح له(شمس الدين، ١٩٩١: ١٠٧). وقد قيل حول *ابن خلدون* أنه ليس فيلسوفا إجتماعيا فحسب، بل هو عالم إجتماعی وواضع علم الإجتماع على أسسه الحديثة ولم يسبقه إلى ذلک أحد حتى الآن تقريباً(فروخ، ١٩٧٢: ٣٢). وأما قامت شهرة *ابن خلدون* على تدوين اشهر آثاره "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فی أيام

العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوی السلطان الأکبر" الذی قدم له بحث عام فی شؤون الإجتماع الإنسانی وقوانینه، وهو البحث الذی إشتهر فیما بعد باسم «مقدمة ابن خلدون» وهو عبارة عن مقدمة فی فضل علم التاریخ ثم ستة أبواب فی شؤون العمران.

«أجمع فلاسفة الغرب من أن «مقدمة ابن خلدون» هی أعظم عمل أدبی یمکن أن یخلقه أی عقل بشری فی أی زمان»(موقع ماجودی). کما یبدو من مؤلفاته «انّ اسلوب *ابن خلدون* اسلوب الرصانة والدقة والواقعیة واسلوب الإناقة والسهولة والوضوح»(الفاخوری، ۱۳۸۰: ۳۵۳). مع أن ما ألّفه لا یطلق علیه نثر ناثر فنی لکنه نثر عالم ومفکر لا یضحی الدقة لصالح الجمال الظاهری(عبدالجلیل، ۱۳۷۶: ۲۶۳). إنّه من أقدر من عالج العبارة العربیة بمتانة ودقة وسهولة و وضوح فتری اللغة تستفاد له انقیاداً عجیباً مهما تدفقت معانیه ومهما ابتعدت، اغوارها ومهما تصورها وتری عبارته تمتد وتطول فی ترابط وثیق وفی تسلسل رائع(الفاخوری، ۱۳۸۰: ۳۵۳). انّه قد ألّف إلی جانب کتاب العبر، رسالة فی المنطق، رسالة فی الحساب، شرح علی قصیدة بردة، شرح علی قصیدة ابن عبدون الإشبیلی، لباب المحصل فی أصول الدین، رحلة ابن خلدون، طبیعة العمران، شفاء السائل لتهذیب المسائل، شرح رجز فی اصول الدین للسان الدین ابن الخطیب(کحالة، ۱۹۹۳، ج۲، ۱۲۰؛ الفاخوری، ۱۳۸۰، ج۶: ۵۹۱)، وله رسائل أرسلها إلی *لسان الدین ابن الخطیب* التی وقع موقع النقاش والدراسة فی هذا المقال. إنّ الرسائل التی تبادلت بین *لسان الدین بن الخطیب* و*عبدالرحمن ابن خلدون* تدلّ علی افتنان أدبی من قبلهما کما تدلّ علی الرغبة الثنائیة إلی دراسة الأخبار السیاسیة والعلمیة والأدبیة(موسوی بجنوردی، ۱۳۷۰، ج۳: ۴۴۶ نقلاً عن التعریف ۱۳۰-۱۰۴). وعلی هذا الأساس اتجه هذه الورقة نحو دراسة الرسائل المذکورة دراسة أدبیة، وتاریخیة، وسیاسیة.

حیاة لسان الدین ابن الخطیب فی نظرة عابرة

ولد *ابن الخطیب* فی أسرة عربیة سلمانیة نزحت إلی الأندلس. ولد فی لوشة وقیل فی غرناطة وشبّ میّالاً إلی الدرس، یأخذ عن العلماء والأدباء، حتی برع بالأدب وعلوم اللغة والفقه والفلسفة والطبّ، فکان من أشهر رجالات الأندلس لذلک العهد. استوزره *ابو الحجاج یوسف* سلطان غرناطة، ثمّ ابنه *السلطان محمد* بعده. وراح حسّاده یدبّرون له الدسائس،

فنسبوا إليه الزندقة لسلوكه مذهب الفلاسفة، فاعتقل فی فاس، فأرسل إليه أعداؤه رجالاً خنقوه فی السجن سنة ١٣٧٤م/٧٧٦ق(الفاخوری، ١٣٨٠: ٨٤٤).

كان *ابن الخطيب* أعظم شخصية ظهرت بالأندلس فی القرن الثامن الهجری، سواء فی ميدان التفكير أو السياسة أو الشعر أو الأدب وإنّه يمكن أن يوضع فی صف أعظم شخصيات التاريخی الأندلسی قاطبة والواقع انّه لما يشير الدهشة والإعجاب معاً، أن تجتمع فی شخصية *ابن الخطيب* عبقريات متعددة، يبلغ فی كلّ منها الذروة، فهو طبيب و فيلسوف، وهو كاتب وشاعر من الطراز الأول، وهو مؤرخ بارع، وهو أخيراً وزير وسياسی ثاقب النظر قوی الإدراک(عنان، ١٩٦٨: ٢٨). قال *المقری* فی كتابه «نفح الطيب»(المقری، ١٩٦٧: ١٧-١٦) هو الوزير الشهير الكبير، لسان الدين الطائر الصيت فی المشرق والمغرب، عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير، المثل المضروب فی الكتابة والشعر والطبّ والمعرفة العلوم على اختلاف انواعها ومصنفاته تخبر عن ذلک.

لقّب *ابن الخطيب* بذی الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له أيضاً ذو الميتتين، وذو القبرين، وذو العمرين، لأنّه كان يشغل بالتأليف والكتابة ليلاً، ويقوم على التدبير الأمور المملكة نهاراً، ذلک أنّه كان مصاباً بداء الأرق، لا ينام من الليل إلاّ النزر اليسير(بسبح، ١٩٩٤: ٣١).

تأليفاته

بلغت تصانيفه نحو ستين، وهو قد فاق أقرانه، من حيث العدد ومن حيث المحتويات. ويقول *المقری* فی ذلک:

تصانيف الوزير ابن الخطيب ... ألذُّ من الصَبا الغضِ الرطيب
فأية راحةٍ ونعيم عيشٍ ... توازی كتبه أم أی طيبٍ

(المصدر نفسه: ٣٨)

ترک *لسان الدين* مصنّفات مشهورة فی التاريخ منها: «الإحاطة فی تاريخ غرناطة»، «الحلل المرقوقة»، «الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوک الإسلام»، «اللمحة البدرية فی الدولة النهرية»، و«نفاضة الجراب». وألّف أيضاً فی التصوّف والموسيقی والفقه والطبّ. وله رسائل كثيرة، جمع قسماً منها فی كتابه «ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب». وله

أیضاً دیوان شعر، لیس من الطبقة العالیة، وفیه موشحه المشهورة(الفاخوری، ۱۹۸۳: ۸۴۴-۸۴۵).

رسائل ابن الخطیب

تتراوح رسائله بین رسائل دیوانیة، ورسائل إخوانیة من تهنئة وعزاء، وکذلک له رسائل فی الوعظ والإرشاد، وله وصایا ومن أشهرها وصیته لأولاده. *ابن خلدون* یقول لنا فی ترجمته *لإبن الخطیب*: «إنّه بلغ فی الشعر والترسل حیث لا یجاری فیهما، وملأ الدولة بمدایحه، وانتشرت فی الآفاق قدماه»(عنان، ۱۹۶۸: ۱۱۰). أما أسلوبه فهو أصدق مثال علی ما صار إلیه النثر الأندلسی فی أعصره الأخیرة، وهو قریب من أسلوب القاضی الفاضل. وأهمّ میزاته الشغف بالمجاز والبدیع حتی الإسراف والإستکثار من الإشارات التاریخیة والعلمیة، الإسهاب والإطناب، وإعتماد السجع غالباً(الفاخوری، ۱۹۸۳: ۸۴۵).

الرسالة الاولی

من: ابن الخطیب

إلی: ابن خلدون

المؤرخ: ۲/جمادی الأولی/۷۶۹

دراسة و تحلیل فی الرسالة: لهذه الرسالة التی تأخر وصولها إلی *ابن خلدون* حتی بعث به الأخ یجیء عند وفاته علی السلطان جوانب مختلفة منها:

- **الجانب التاریخی:** إنّ الکاتب بعد أن تناول مقدّمة ودیّة للرسالة أخذ یشیر إلی أخبار الوطن حیث یقول «وفیما یرجع إلی الوطن»(ابن خلدون، ۱۹۵۱: ۱۱۷) ثم یشیر إلی أسماء مدن منها برغة، وبذة، الغارین، بیغة، ویصرح بفتحها والدخول فیها «والإستیلاء علی ما یناهز خمسة آلاف من السبی»(المصدر نفسه: ۱۱۸).

ثم فتح دار الملک ولدة قرطبة(تربها) ومدینة جیان ومدینة ابّدة. «لم یتزیّد من الحوادث إلا ما علمتم؛ ... الإضطراب مستول علی الوطن بعد *عمر بن عبدالله* ... والأندلس شیخ غزاتها *الأمیر عبدالرحمن بن علی بن السلطان ابی علی* بعد وفاة *الشیخ ابی الحسن علی بن بدر الدین*» (المصدر نفسه: ۱۱۹)، ثم یخبر عن عودة السلطان ملک النصاری إلی

ملک إشبيلية ومخالفة قرطبة لها. إن السلطان قد تلقّب بعقب هذه المكيّفات بـ "الغنی بالله".

وأما ما يرجع إلى ما يتشوّف إليه ذلک الكمال من شغل الوقت فصدرت تصانيف يقال فيها يا ابراهيم ولا ابراهيم، اليوم(لعله يشير إلى يا ابراهيم اعرض عن هذا).

– **الجانب الحكمی:** حيث جاء الكاتب بكلمات تتخلل الرسالة وتزيدها موعظة وحكمة، منها ما صرح به فی النهی عن الإستغراق فی طلب الدنيا «العاقل لا يستنكحه الإستغراق فيما آخره الموت»(ابن خلدون، ١٩٥١: ١١٦). ويقول: «انّ الشوق مخامر القلوب وتصور اللقاء مما يزهد فی الوطن وحاضر النعم»(المصدر نفسه: ١١٧).

– **الجانب الأدبی:** إن الكاتب أنشأ رسالة أدبية فی أُسلوب يمتاز بكثرة التعابير المرادفة والمفردات المسجعة والكلمات الرنينة. كما يقول «... سنیّ الله ذلک علی أفضل حال ويسرّه قبل الارتحال عن دار المحال»(المصدر نفسه: ١١٧). فالكاتب يشير إلی مؤلفاته قبل أن ينتهی كلامه منها الغيرة علی أهل الحيرة، حمل الجمهور علی السنن المشهور، أجزاء لتاريخ غرناطة وتلخيص كتاب «التاج» *للجوهری*.

– **جانب العاطفة الصادقة:** حيث بدأ الرسالة بـ «أخی وداً واعتقالاً»(المصدر نفسه: ١١٥) وجعل منزلة ولده «ومحلّ ولدی شفقة سكنت منّی فؤاداً»(المصدر نفسه: ١١٥)، ثم عبر عن شدة الشوق إليه و«إن كنت فی مباثتک كالعاطش الذی لا يروی والآكل الذی لا يشبع»(المصدر نفسه: ١١٥) وهی دليل علی أن المرسل اليه لصيق بقلبی المرسل لا يفارق مخيلته.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الرسالة الثانية

من: ابن الخطيب

إلی: ابن خلدون

المؤرخ: ١۴/ربيع الثانی/٧٧٠

دراسة و تحليل فی الرسالة: إن هذه أطول رسالة كتبها *ابن الخطيب* من غرناطة إلی صديقه الحميم *عبدالرحمن بن خلدون* ومن أهم جوانب الرسالة:

– **الجانب الأدبی:** إن هذه الرسالة فی قمة أدبیة لما جاء به من المحسنات البدیعیة والکلمات المسجعة والتلمیح والإقتباس والأبیات الشعریة وأُسلوب یقرب من أُسلوب المقامات الأدبیة. مقدمة الرسالة مطلع شعری رائع یصور رغبة الکاتب القلبیة وشکواه من البین والفراق، کما یشیر إلی محاولة العاذلین ویبری نفسه من التأثر بهم:

بنفسی وما نفسی علیّ بهینةٍ فینزلنی عنها المکاسُ بأثمانِ
حبیب نأی عنّی وصمّ لأنّتی وراش سهام البین عمدا فأصمانی
وقد کان همُّ الشّیب-لا کان- کافیاً فقد أدّنی لمّا ترحّل همّانِ
وإنّی علی ما نالنی منه من قِلیً لأشتاقُ من لقیاه نغبة ظمآنِ
وتالله ما أصغیتُ فیه لعاذلٍ تحامیتُه حتی ارعوی وتحامانی

(ابن خلدون، ۱۹۵۱: ۱۰۵)

وهذه فقرة تملأ جمالاً أدبیاً ودلالة: «أما الشّوق فحدّث عن البحر ولا حرج، وأما الصّبر فاسأل به أیة درج، بعد أن تجاوز اللّوی والمنعرج، لکن الشدّة تعشق الفرج، والمؤمن ینشق من روح الله الأرج؛ وأنی بالصبر علی إبر الدّبر»(المصدر نفسه: ۱۰۵).

قد اشتمل الرسالة علی أمثال استخدمت خیر استخدام فی الرسالة منها: «والرجوع بملء العیبة من الخیبة ووَقر الجَسرة من الحَسرة»(المصدر نفسه: ۱۱۰) و«بعث التمر إلی الهجر»(المصدر نفسه: ۱۱۴) و «حال الجریض دون القریض»(المصدر نفسه: ۱۱۰). الشکوی من الفراق والبین وهذا معنی ظهر فی ثوب التعابیر الأدبیة الرائعة نظماً کان أو نثراً. إنه یقول: إذا کان الفراق هو الحمام الأول فعلام المعوّل أعیت مراوضة الفراق عمل الرّاق وکادت لوعة الإشتیاق أن تفضی إلی السیاق:

ترکتمونی بعد تشییعکم أوسع أمر الصبر عصیانا
أقرع سنّی ندماً تارةً وأستمیح الدمع أحیانا

(المصدر نفسه: ۱۰۵)

المزج بین الأدب والتاریخ أو کتابة یجوز لنا نطق علیه التاریخ الأدبی الذی یختلف تماماً عن تاریخ الأدب. فهذا هو یذکر ما یغنینا عن زیادة وتفضیل: «وربّما تعللت بغشیان المعاهد الخالیة وجدّدت رسوم الأسی بمباکرة الرسوم البالیة أمثال نون النوی عن أهلیة

وميم الموقد المهجور عن مصطليه وثاء الأثافى المثلثة عن منازل الموحدين وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين»(المصدر نفسه: ١٠٥). انّ *ابن الخطيب* ينهى رسالته بالسؤال عن أحوال الصديق بعبارات أدبية متتالية منها: «كيف حال تلك الشمائل المزهرة الخمائل والشيم الهامية الديم هل يمرّ ببالها من راعت بالبعد باله وأخمدت بعاصف البين ذباله أو ترثى لشؤون شأنها سكب لا يفتر وشوق يبتّ حبال الصبر ويبتر»(المصدر نفسه: ١١١).

الرسالة الثالثة

من: ابن خلدون

إلى: ابن الخطيب

المؤرخ: عام سبعين وسبعمائة

الموضوع: إجابة عن رسالتين تلقاهما من ابن الخطيب

دراسة و تحليل فى الرسالة: كان *ابن خلدون* بتونس وتلقى الرسالتين السابقتين من الوزير الأديب *لسان الدين ابن الخطيب* ثم أجاب عنها بهذه الرسالة التى لها طابع تاريخى وطابع أدبى.

– **الجانب الأدبى:** رغم ان *ابن خلدون* قبل أن يأتى بنص الرسالة فى التعريف صرح بأننى تفاديت من السجع خشية القصور عن مساجلته فلم يكن شأوه يلحق لكنه جرّب حذقه ومقدرته فى مقدمة الرسالة حيث يبدو طابع الأدب والكتابة الأدبية واضحة جلية.

إنه يقول: «سيدىّ مجداً وعلوّاً وواحدى ذخراً مرجواً ومحل والدى براّ وحنواً مازال الشوق يرعى سمعى انباءک ويخيل إلىّ أيدى الرياح تناول رسائلک، حتى ورد كتابک العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع وودّ ذى أجناس وأنواع... وحيّيته تحيّة الهائم لمواقع الغمائم والمديح للصباح المتبلج وأملّ على مقترح الأولياء...»(ابن خلدون، ١٩٥١: ١٢٣). فاما التقنين فيمكن أن نلخصه فى تعبير *ابن خلدون* عن مشاعر الصداقة التى تربطه بصديقه الوزير فى بداية هذه الرسالة.

– **تعظيم الدولة ورجالها:** ان *ابن خلدون* قام بتعظيم الدولة ووزيرها فى قسم من الرسالة، حيث يثنى على حسن التدبير والاتيان بخوارق العادة لوزير الدولة:

«... حین ظهرت علی یدها خوارق العادة وما تجدد آخر الأیام من معجزات الملة ولکم فیها والحمدلله بحسن التدبیر ویمن النقیبة من حمید الأثر وخالد الذکر طراز فی حلّة الخلافة النصریة وتاج فی مفرق الوزارة. کتبها الله لکم فیما یرضاه من عباده ...»(المصدر نفسه: ۱۲۴).

ثم یثنی علی الدولة ویطیل ثناءه: «ووقفت علیه الاشراف من أهل هذا القطر المحروس واذعته فی الملأ سروراً بعزّ الاسلام وإظهاراً لنعمة الله واستطراداً لذکر الدولة المولویة بما تستحقّه من طیّب الثناء والتماس الدعاء والحدیث بنعمتها والإشادة بفضلها علی الدول السالفة والخالفة و تقدّمها ...»(المصدر نفسه: ۱۲۴).

وفی القسم الأخیر من الرسالة یخاطب *ابن الخطیب* ویطلب منه کی یقبّل أقدام الحاکم عوضاً منه فهذا هو حیث یقول: «ورغبتی من سیدی- ابقاه الله- أن یقبّل عنّی اقدام تلک الذات المولویة ویعرفه بما عندی من التشیع لسلطانه والشکر لنعمته ...» (المصدر نفسه:۱۲۷).

- **جانب الرسالة الإخوانیة:** إنّ هذه الرسالة تتلوّن کما کان من المتوقع بلون الرسائل الإخوانیة حیث نجد لها طولها وأدبها والتعبیر عن المشاعر والأحاسیس القلبیة وأخیراً الأخبار عن أحوال الذات حیث یقول:

«وان تشوَّفت السیادة الکریمة إلی الحال فعلی ما علمتم سیراً مع الأمل ومغالبة للأیام علی الحظ واقطاعاً للغفلة جانب العمر.

هل نافعی والجدُّ فی صببٍ مرّی مع الآمالِ فی صعدٍ

علی إنّ لطف الله مصاحب وجوار هذه الریاسة المزنیة- وحسبک بها علمیة- عصمة وافیة صرفت وجه القصد إلی ذخیرتی التی کنت اعتدّها منهم کما علمتم...»(المصدر نفسه: ۱۲۴-۱۲۵).

- **الجانب التاریخی:** بدأ *ابن خلدون* بأخباره عن الأوضاع الراهنة فی تونس والمغرب بتصریحه «وأما أخبار هذا القطر» ثمّ ذکر أخبار تونس أولاً ثمّ المشرق: «أما أخبار هذا القطر فلا زیادة علی ما علمتم من استقرار *السلطان ابی الحق بن السلطان ابی یحیی* بتونس مستبدّاً بأمره بالحضرة بعد مهلک شیخ الموحدین *أبی محمد تافراکین*»(المصدر نفسه: ۱۲۶).

ثمّ يقدّم صورة من سياسة الحاكم الجديد ومعاملته مع الناس حيث يشير إلى الإستبداد فى الرأى والمضايقة فى الجباية وإشاعة الأمن فى الطرق والرعايا فهو يقول: «من استقرار السلطان بتونس مستبدّاً بأمره... مضايقاً فى جباية الوطن... مصانعاً لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابلة...»(المصدر نفسه: ١٢٦).

ثمّ يخبر صديقه الوزير عن أخبار الحاج فى السنة الأخيرة ويشكو من واجهه الحجاج واجه نفسه من اختلال وفساد السقايات وكثرة الهرج وقتل الكثيرين... فهذا هو حيث يقول: «أما أخبار المغرب الأقصى والأدنى فلديكم طلعه، وأما المشرق فأخبار الحاجّ هذه السنة من إخلاله وإنتقاض سلطانه وإنتزاء الجفاة على كرسيه وفساد المصانع والسقايات المعدّة لوفد الله وحاجّ بيته ما يسخن العين ويطيل البثّ حتى لزعموا أنّ الهيعة اتصلت بالقاهرة وكثر الهرج فى طرقاتها وأسواقها...»(ابن خلدون، ١٩٥١: ١٢٦-١٢٧).

الرسالة الرابعة

من: ابن الخطيب

إلى: ابن خلدون

المؤرخ: ربيع الأول عام أحد وسبعين وسبعمائة

الموضوع: الكلام والاستطلاع

دراسة و تحليل فى الرسالة: كتب ابن الخطيب هذه الرسالة وأرسلها من غرناطة إلى *ابن خلدون* الذى كان فى سفر الحج. للرسالة جوانب منها:

- **جانب الرسالة الإخوانية:** حيث عبّر عن الشوق والرغبة الكثيرين إلى صديقه الحميم الذى فرّق بينهما فراق مانع. ثم يخبره ويستخبره عن الحال وأمل التوفيق والنجاح، يقول: «يا سيدى ووليّ وأخى ومحلّ ولدى! كان الله لكم حيث كنتم ولا أعدمكم لطفه وعنايته وأحمد الله على الاستقرار فى كهف ذلك الفاضل الذى وسعكم كنفه وشملكم فضله...»(المصدر نفسه: ١٢٨).

ثم يخبر عن حاله وشدة الضعف والمرض والعجز حيث يقول: «فاعلموا انّى قد بلغ بى الماء الزبى واستولى علىّ سوء المزاج المنحرف وتوالت الأمراض وأعوز العلاج لبقاء السبب

والعجز عن دفعه وهی هذه المداخلة جعل الله العاقبة فیها إلی خیر ولم أترک وجهاً فی وجوه الحیلة إلا بذلته...»(المصدر نفسه: ۱۲۸).

وکما یبدو من هذه الرسالة والرسالة السابقة أنّ *ابن الخطیب* کان یرغب فی أن یخبر صدیقه عن تآلیفه وما صدر له من آثار أدبیة. فصرح فی هذه الأخیرة «وآخر ما صدر عنّی کنّاش سمیته باستنزال اللطف الموجود فی اسر الوجود أملیته فی هذه الأیام... بودی لو وقفتم علیه...»(ابن خلدون، ۱۹۵۱: ۱۲۸). ثم أنهی رسالته بما یدل دلالة واضحة علی کونها رسالة إخوانیة: «والأحوال کلها علی ما ترکتموها علیه واحبابکم بخیر علی ما علمتم من الشوق والتشوف والإرتماض لمفارقتکم ولا حول ولا قوة إلا بالله»(المصدر نفسه: ۱۲۸).

الرسالة الخامسة

من: ابن خلدون

إلی: ابن الخطیب

المؤرخ: ۱/شوال/۷۷۲

الموضوع: جواب لرسالة ابن الخطیب

دراسة و تحلیل فی الرسالة: هذه أطول رسالة أرسلها *ابن خلدون* إلی صدیقه الوزیر *ابن الخطیب* جواباً عن رسالة تلقاها منه بعد ما اشتدّ سوء الظنّ وتکدّر الجوّ الودیّ لما أحدثه الحساد و النمامون. لهذه الرسالة طابع أدبی وطابع تاریخی.

- **جانب الرسالة الإخوانیة:** إن النشاط والرغبة و الوداد تبدو واضحاً من هذه الرسالة خلافاً لما تعودناه فی الرسائل الباقیة حیث یطیل الکلام، ویکثر التعابیر الودیّة، ویؤکد علی اخلاصه فی الود والصداقة، ویحاول أن یزیل الغبار المکدر عن مرآة الحب الصافیة فیقول: «یا سیدی ونعم الدُخر لأبدی والعروة الوثقی التی اعتقلتها یدی أسلّم علیکم سلام القدوم علی المخدوم والخضوع للملک المتبوع لا بل أحییکم تحیة المشوق للمعشوق والمدلج للصباح المتبلج... وأنتم أعلم بما فی نفسی وأکبر شهادة فی خفایا ضمیری ولو کنت ذاک فقد سلف من حقوقکم وجمیل أخذکم و اجتلاب الحظ بمساعیکم... فحاش لله أن یقدح فی الخلوص لکم أو یرجح سوابقکم والله وجمیع ما یقسم به ما اطلع علی مستکنه منّی

غير صديقی وصديقكم الملابس لی ولكم...»(المصدر نفسه: ١٤٠-١٤١). ثم يشكر لما تعرض له من التهمة والظن السیء حيث كاد أن يقع فی المهلكة. يقول: «إنّه قد علم ما كان منی من إجماع الأمر على الرحلة إليكم والخفوف إلى حاضرة البلاد إلى عدوتكم تعرضت فيها للتهم ووقفت بمجال الظنون حتى تورطت فی الهلكة بما ارتفع عنی مما لم آته ولاطويت العقد عليه لو لاحلم مولانا الخليفة وحسن رأيه فیّ وثبات بصيرته لكنت من الهالكين الأولين...»(ابن خلدون، ١٩٥١: ١٤٢).

- **الجانب الحوارى:** كما هو المتوقع من الصديقين الصاحبين للرسائل المذكورة انّ هناک طابع حوارى فی رسالة *ابن خلدون*:

الف) حيث أشار إلى ما يواجهه صديقه من المكاره والمصائب ويرجو خلاصة من ورطتها ويأمل له حسن المآل فی الأمل والأولاد والآثار ومن بعده يرى إعراضه عن الدنيا والاجتناب من متعها وحطامها عناية من الله له، حيث ما شاء الله ان يهلک للانهماک فی متع الدنيا. يقول: «افدت فی كتابكم العزيز علیّ، غريب ما كيّفه القدر من تنويع الحال لديكم وعجبت من تأتی املكم الشارد فيه فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه وأجمل المخارج الحميدة العواقب فی الدنيا والدين العائد بحسن المآل فی المختلف من أهل و ولد ومتاع واثر... واشهد لما الهمتم للاعراض من الدنيا ونزع اليد من حطامها عند الاصحاب والاقبال ونهی الآمال إلا جذباً وعناية من الله وحبّاً وإذا اراد الله امراً يسرّ اسبابه»(المصدر نفسه: ١٤٣-١٤٤).

ب) لما تناول موضوع إدبار الحظ وهزم الآمال يعتبر هذه الحالة سبباً للفرار إلى الله واستقبال المشاكل وتهذيب النفس ثم يتفاءل بأنّ الحال الجديدة ستؤدى إلى ثبات الأقدام وصفاء البصيرة وتخطة المقامات وإنارة برق العرفان، حيث يقول: «فالظن انّ هذا الباعث الذى هزم الآمال ونبذ الحظوظ وهوّن المفارق العزيز يسومكم الفرار إلى الله حتى يأخذ بيدكم إلى فضاء المجاهدة ويستوى بكم على جودیّ الرياضة والله يهدى للتى إلى اقوم وكأنى بالآقدام نقلت والبصائر بإلهام الحق صقلت والمقامات خلفت بعد أن استقبلت والعرفان شيمت أنواره وبوارقه والوصول انكشف حقائقه لمّا ارتفعت عوائقه»(المصدر نفسه: ١٤٤-١٤٥).

نتیجة البحث

مما یلیق أن یذکر کنتیجة هذه الورقة المقدمة التی تناولت الإفتنان والإفادة فی رسائل المفکرین الکبیرین *ابن خلدون* و*ابن الخطیب*:

إن الطابع الغالب علی الرسائل هو طابع الأدبی خاصة فیما صدر من *لسان الدین ابن الخطیب*.

إن هذه الرسائل تقع بسهولة ووضوح تحت الرسائل الإخوانیة ومن ثم الرسائل الأدبیة.

إنّ ابن الخطیب یتفوق علی *ابن خلدون* فی أسلوبه البیانی، ولا شک أنّ أسلوب *ابن خلدون* التاریخی یعتبر من أرفع الأسالیب التاریخیة من حیث قوة التعبیر وإبراز المعانی.

إن هناک ظاهرة قلما نجدها عند الآخرین ویمکننا أن نسمیه بظاهرة کتابة التاریخ الأدبی الذی یختلف عن التاریخ وعن تاریخ الأدب. فهذه الظاهرة قرّب کتابة التاریخ من التصویر الواضح المؤثر.

نظراً إلی مکانة الطرفین علماً وأدباً کان من المتوقع أن یکون هناک جانب حواری. فمن الجوانب المعنیة بها فی الدراسة هو الجانب الحواری خاصة فی رسالة *لابن خلدون*.

رغم وجود جوانب وملامح تاریخیة لکنه لم یکن هذا الجانب بحیث یعطینا صورة متوقعة عن الأحداث التاریخیة والسیاسیة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن خلدون، عبدالرحمن. ١٩٥١م، **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً و شرقاً**، قاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن خلدون، عبدالرحمن. ١٣٥٩ش، **مقدمة ابن خلدون**، ترجمة محمد پروين گنابادی، المجلد الأول، الطبعة الرابعة، تهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.

ابن معصوم المدنی، علی صدر الدين. ١٩٦٨م، **أنوار الربيع فی أنواع البديع**، تحقيق وترجمة: شاكر هادی شكر، الجزء الاول، الطبعة الاولی، النجف: مطبعة النعمان.

حداد، فتيحة. ٢٠١١م، **ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية(دراسة تحليلية نقدية)**، تيزی وزو: مخبر الممارسات اللغوية.

حسن بسبح، احمد. ١٩٩٤م، **لسان الدين ابن الخطيب عصره، بيئته، حياته وآثاره**، الطبعة الاولی، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشعكة، مصطفی. ١٩٨٧م، **المغرب والأندلس آفاق اسلامية وحضارة انسانية ومباحث أدبية**، الطبعة الاولی، بيروت: دار الكتب الاسلامية.

شمس الدين، عبد الأمير. ١٩٩١م، **موسوعة الفكر التربوی العربی الإسلامی: ابن خلدون وابن الأزرق**، الطبعة الاولی، لبنان: الشركة العالمية للكتّاب.

عبدالجليل، ج م. ١٣٧۶ش، **تاريخ ادبيات عرب**، مترجم: آذرتاش آذرنوش، چاپ سوم، تهران: انتشارات اميركبير.

عبدالله عنان، محمد. ١٩٦٨م، **لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكری**، الطبعة الاولی، قاهرة: مكتبة الخانجی.

الفاخوری، حنا. ١٣٨٠ش، **تاريخ الأدب العربی**، چاپ دوم، تهران: انتشارات طوس.

الفاخوری، حنا. ١٩٩۶م، **تاريخ الأدب فی المغرب العربی**، الطبعة الاولی، بيروت: دار الجيل.

فرزاد، عبدالحسين. ١٣٧٩ش، **المنهج فی تاريخ الأدب العربی**، چاپ سوم، تهران: انتشارات سخن.

فروخ، عمر. ١٩٩٧م، **تاريخ الأدب العربی**، الجزء السادس، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين.

فروخ، عمر. ١٩٧٢م، **تاريخ الفكر العربی إلی أيام ابن خلدون**، بيروت: دار العلم للملايين.

كحالة، عمر رضا. ١٩٩٣م، **معجم المؤلفين**، الجزء الثانی، الطبعة الأولی، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المقری، احمد بن محمد. ١٩٦٧م. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، بيروت: دار صادر.

موسوی بجنوردی، كاظم. ١٣٧٠ش، **دائرة المعارف بزرگ اسلامی**، جلد سوم، چاپ دوم، تهران: مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامی.

المقالات

عبدالعظیم، صالح سلیمان. ۲۰۰۶م، «**ابن خلدون فی الخطابات العربیة المعاصرة دراسة تصنیفیة وتحلیلیة**»، مجلة العلوم الاجتماعیة: جامعة الکویت، السنة ۳۴، العدد ۳.

الکتانی، لمحمد بن علی. ۱۹۸۶م، «**ثقافة القرن الثامن الهجری بین منهجی ابن خلدون وابن الخطیب**»، مجلة دعوة الحق، العدد ۲۵۹.

صیادی‌نژاد، روح الله. ۱۳۹۲ش، «**نقد و بررسی توانش زبانی از دیدگاه ابن‌خلدون**»، جستارهای زبانی، دوره ۴، شماره ۲.

Bibliography

Holy Quran

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman, 1951, Al-Ta'rīf bi Ibn-Khaldūn wa Riħlatuhu Għarbān wa Sharqān, Cairo: Association of Authorship, Translation and Publication Press.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman, 1980, The Muqaddimah, Translated by Mohammad Parvin Gonabadi, first volume, Fourth edition, Tehran: Translation and publishing company.

Ibn Masum al-Madani, Ali Sadr al-Din, 1968, Lights of the spring in the beautiful, Translated by Shaker Hadi Shaker, part One, First edition, Najaf: Al -Nu'man Press.

Haddad, Fatihah, 2011, Ibn-Khaldun and his pedagogical and linguistic thoughts "Analytical study ", Tizi Ouzou: Lab of linguistic practices.

Hasan Basbah, Ahmad, 1994, Lisan al-Din Ibn al-Khatib: his age, his environment, his life and his effects, First edition, Beirut: Scientific Library.

Al-Shaka, Mostafa, 1987, Morocco and Andalusia Islamic horizons, human civilization and literature, First edition, Beirut: Islamic library.

Shams al-Din, Abd Al-Amir, 1991, Encyclopedia of Arab Islamic Educational Thought: Ibn Khaldun and Ibn Al-Azraq, First edition, Lebanon: International book company.

Abd Al-Jalil, 1997, Arabic Literature History, Translated by Azartash Azarnoosh, Third edition, Tehran: Amirkabir publisher.

Abdullah Annan, Mohammad, Lisan al-Din Ibn al-Khatib:his life and his intellectual heritage, First edition, Cairo: Al - Khanji Library.

Al-Fakhoury, Hanna, 2001, History of the Arabic Literature, second edition, Tehran, Tous Publisher.

Al-Fakhoury, Hanna, 1996, History of literature in the Maghreb, First edition, Beirut: Dar Al-jeel.

Farzad, Abd Al-Hossein, 2000, in History of the Arabic Literature, Third edition, Tehran: Sokhan publisher.

Faruk, Omar, 1997, History of the Arabic Literature, part six, Third edition, Beirut: Dar Al-Malayin.

Faruk, Omar, 19972, History of Arab Thought to the Days of Ibn Khaldun, Beirut: Dar Al-Malayin.

Kahala, Omar Reza, 1993, Dictionary of Authors, Part two, First edition, Beirut: Al-Risalah institute.

Al-Maqri, Ahmad Ibn Mohammad, 1967, Bringing his good branch of Al-Andalus Alrtaib, Beirut: Dar Sader.
Mousavi Bojnourdi, Kazem, 1991, the Great Islamic Encyclopedia, Part three, Second edition, Tehran: The Center for the Great Islamic Encyclopedia.

Articles

Ibn Al-Azim, Saleh Sulaiman, 2006, Ibn Khaldun in Contemporary Arabic Writings: An Analytical and Classified Study, Journal of the Social Sciences: Kuwait University, Volume 34, Issue 3.
Al-Katani, Mohammad bin Ali, 1986, The culture of the eighth century between Ibn Khaldun and Ibn al-Khatib, Call Right Magazine, Issue 259.
Sayyadi Nezhad, Ruhollah, 2013, The Review of Linguistic Competence in Ibn Khaldun's View, Language Related Research, Volume 4, Issue 2.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی